



# الدين والنظام والمسؤولية

لفضيلة الشيخ

أحمد السبيعي

بتاريخ: ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٢ / ١ / ٢٠١٩



## الدين والنظام والمسؤولية

١- إن من صلب الدين والتدين قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

٢- مسؤولية التقوى، مسؤولية إرضاء الرب -تبارك وتعالى-، ثم مسؤولية إرضاء الوالدين، مسؤولية طلب الرزق المباح، مسؤولية الزوجة والعيال، مسؤولية نصر السنة والدين الحق -بحسب العلم والقدرة وتحقيق المصلحة، طبعًا على تفصيل-؛ فكل هذه يجب القيام بها ابتداءً، وعدم إهمالها فيقع المسلم في الإثم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت -يعول-».

٣- وكلُّ مسؤولية لا بد فيها من نظام، وكل نظام لا بد له من قائد؛ والد، أو أمير، أو مسؤول.

٤- ولنجاح أي نظام والقيام بالمسؤولية لا بد من الطاعة، ولا بد من إعطاء حق القيادة والسلطة لمن أعطاه الله.

٥- الطاعة طاعة دينية للأمير والوالد، ما لم يأمر بمعصية الله، وطاعة نظامية مشروعة لأوامر صاحب المُلْك أو المسؤول عن العمل الدنيوي.

٦- ولا بد في كل نظام من نقص، أو خطأ، أو تقصير، أو ظلم من القائم بالمسؤولية. فإذا كان المسؤول ممن وجبت طاعته شرعًا، فوجب الصبر عليه مع عدم الإقرار والمطاوعة في المعصية. أما مسؤوليات أعمال الدنيا فمبناها على العقود الخاصة، فيفي المسلم بموجب العقود المباحة -وإن كان الإنسان قد يحتاج إلى خبرات حياتية تعينه على تحقيق مصالحه-.

٧- هناك مسؤوليات عارضة مشتركة، لم يهمل الشرع الكامل حكمها؛ كالسفر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ»، وإذا كانوا دون ثلاثة أرشد صلى الله عليه وسلم إلى مبادئ أخلاقية وسلوكية تتييسر معها المصالح، فقال: «تَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا، وَيَسِّرَا وَلَا تَعْسِّرَا».

٨- أما التعاون العام بين المسلمين على الخير، فشرطه أن يكون على الخير والحق بظهور ووضوح، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

٩- أهل الأهواء يضعون لأنفسهم أنظمة خاصة باطنة سرية -قد يسمونها تنظيمًا، أو عملاً جماعيًا، أو غير ذلك- بشبهة السعي في تحكيم الشريعة، فيأخذون من صلاحية الدولة المسلمة والأمير المسلم فيجعلونها لأفرادهم وجماعتهم، مستدلين بأنواع من الأدلة الشرعية الخاصة أو العامة؛ بتحريفها لما يهوون.

بل وصل ببعض من يتبع هواه من المجموعات التي تُظهر السنة -غير بطانة الجماعات- إلى إيجاب طاعة تنظيمهم واختيارهم؛ لأن في ذلك طاعة للعلماء، زعموا!

١٠- بما تقدّم يتبين للمسلم بوضوح أنّه ليس له الحق أن يضع لنفسه نظامًا ابتداءً -في الدين، أو مسؤولية الدنيا التي فرضها على نفسه بالعقود المبرمة- من تلقاء نفسه خارج مسؤولياته التي يفرضها عليه الله، أو التي تبنى على ما قدر الله عليه، فيصنع كما يصنع أهل الطموحات الفاسدة والخيالات من الخروج عن المسؤوليات الحقة، والتنصّل من المهمات إلى ترف وشهوات، أو أعمال فارغات، أو أن يعتزل في باطل يوهم نفسه أنه حق.

١١- إن الشرف كلُّ الشرف، والرجولة كل الرجولة في رضا العبد بقضاء الله وقدره عليه، مع قيامه بمسؤولياته المفروضة. ويبقى من مهلة الوقت ومن المباح ما يحقق العبد به ما تصبو إليه نفسه وهواه المباح من تنظيم أهدافه، مع عدم نسيانه ما أوجب الله من حسن الخلق وكف الأذى.

بقلم الشيخ/ أحمد السبيعي

الثلاثاء 16 جمادى الأولى 1440هـ

الموافق 22 يناير 2019م